فضل الإيمان وأهميته في قلوب الأبناء

خطبة يوم الجمعة ١٢ / ٤/ ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٧ / ١٠ /٢٠٢٣ م جامع الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني -رحمه الله تعالى - الاحساء -الهفوف -حي المزروع

الخطيب – د. أحمد بن حمد البوعلي

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتعاهدوا إيمانكم بالنماء والزيادة، واحذروا مما يبطله وما ينقصه؛ فإنه سعادتكم في الدنيا وفوزكم في الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:136]. (1)

**أيها الناس:** فإن أعظم ما يدعو إليه الإنسان غيره هو الإيمان، وهو أنفع شيء يقدمه الآباء والأمهات والمربون لأولادهم ولمن يربونهم؛ لأن جزاء الإيمان وجزاء أجزائه من العمل الصالح يبقى ولا يفنى، وكل الدنيا وما فيها يفنى **﴿‌وَٱلۡءَاخِرَةُ ‌خَیۡرࣱ ‌وَأَبۡقَىٰۤ﴾ [الأعلى: 17]. (2)**

وكم من أب يغضب إن غاب ولده عن المدرسة، ولا تتحرك فيه شعرة إن تخلف عن المسجد؟! وكم من أم تعاتب ابنتها على إخفاقها في دراستها، ولكنها لا تأبه إن تركت طاعة ربها في صلاتها أو حجابها أو لباسها؟ وكم من مرب يزرع في قلوب من يربيهم أهمية الدراسة والوظيفة والجد والاجتهاد، ولا يزرع فيهم أصول الإيمان، وما يزكيه من الأعمال الصالحة، فما أشدَّ رغبة كثير من الناس في الدنيا ومتاعها، وما أقبح نسيانهم الآخرة ونعيمها!! ونعوذ بالله تعالى من أن نكون ممن **﴿‌نَسُوا۟ ‌ٱللَّهَ فَنَسِیَهُمۡۚ ﴾ [التوبة: 67] (3)** أو ممن **﴿ ‌نَسُوا۟ ‌ٱللَّهَ ‌فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ [الحشر: 19]**. (4)

ومن تأمل السنة النبوية وجدا كمًّا كبيرا من النصوص تظهر فيها عناية النبي عليه الصلاة والسلام بإيمان الصغار والشباب، وترسيخه بكل الوسائل والأساليب؛ حتى لا تميد بهم الأهواء، ولا تقلبهم الشبهات.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس الإيمان في قلوب أصحابه - رضي الله عنهم - وهم أطفال وشباب في حب الله تعالى، والرغبة فيما عنده والدار الآخرة، ويعلمهم الإيمان، ويبشرهم بجزائه، ويدلهم على أجزائه، ويحذرهم من نواقصه ونواقضه، كل ذلك لأجل أن يغرس الإيمان في قلوبهم.

وذات مرة أردف صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو شاب لم يبلغ الثلاثين من عمره، فَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» رواه الشيخان. (5)

فعلَّمه النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد وهو أعلى الإيمان، وبين له جزاءه وهو أكبر الجزاء؛ ليحمي توحيده من الشرك، وينمي إيمانه بالعمل؛ لأن الجزاء يحفز على العمل، وأي جزاء أعظم من حق يجعله الخالق على نفسه للمخلوق بأن ينجو من العذاب إذا حقق أصل التوحيد والإيمان، والنجاة تقتضي الفوز بالجنان والرضوان ورؤية الرحمن سبحانه؛ لأن من نُجي من العذاب يوم القيامة فاز بالجنان **﴿‌وَإِنَّمَا ‌تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ یَوۡمَ ٱلۡقِیَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَیَوٰةُ ٱلدُّنۡیَاۤ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]** (6)

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا رضي الله عنه أن يخبر الناس بهذه البشارة العظيمة في جزاء التوحيد، وعلل ذلك بأن لا يتكلوا فيتركوا العمل، والعمل هو أجزاء الإيمان التي تنميه وتزكيه. وأخبر معاذا بذلك وهو شاب لعلمه عليه الصلاة السلام بفقه معاذ وورعه وتقواه، وحرصه على العمل الصالح؛ فالبشارة تدفعه للعمل ولا تقعده عنه، وهكذا يجب على كل أب ومرب أن يهتبل الفرصة المناسبة لغرس الإيمان في قلوب من يربيهم بالتبشير والترغيب إذا رأى منهم جدًّا في العمل الصالح، وحرصا عليه، وبالترهيب والتخويف إن رأى منهم اتكالا على الإيمان، وكسلا في العمل، كما بشر النبي صلى الله عليه وسلم معاذا، ونهاه أن يخبر غيره بالبشارة.

ولأن في الشباب عجلة وتهورا، وسرعة في اتخاذ القرارات، ومجازفة في إطلاق الأحكام؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى على إيمان الشباب من صبوة الشباب وتهوره، ويزجرهم عما يخل بإيمانهم، ولا يتهاون فيذلك، كما زجر أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين قتل الرجل الذي شهد شهادة الحق، مع أن أسامة من أحب الناس إليه، وكان حين فعلته تلك شابا لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ولكن شأن الإيمان عظيم، والمحافظة عليه من أوجب الواجبات، وأهم المهمات.

روى أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: **«بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأنصار رجلا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا**...» رواه الشيخان(7)

وفي رواية لمسلم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْلَا؟»** (8)

وفي رواية أخرى: قَالَ: **«يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** (9).

وحين نرى هذه الغلظة والشدة من النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أسامة رضي الله عنه ندرك أن أمر الإيمان عظيم؛ فلا يُسلب الإيمانَ من قال كلمته مهما ظننا به إلا أن يأتي كفرا ظاهرا لا عذر له فيهمن إكراه أو شبهة أو خطأ أو تأويل، وندرك أيضا أن نفي الإيمان عن المؤمن يوقع صاحبه في مهالك عظيمة، وقد لا يسلم إيمانه وهو قد سلب إيمان غيره.

وحين نرى مسارعة كثير من الشباب في إيقاع الكفر على من لا يستحقه، واستحلال دمه؛ ندرك أن في الشباب عجلة تحتاج إلى من يزمها بالإيمان، ويوثقها بالعلم؛ لئلا تطيش فتودي بصاحبها وبالناس معه. وهكذا زجر النبي صلى الله عليه وسلم أسامة في فعلته، وعلَّم الشباب أن سلب الإيمان من صاحبه بلا حق يوقع في ورطة كبيرة، وأن مغبته عظيمة.

نسأل الله تعالى أن يصلح أولادنا وأولاد المسلمين، وأن يعمر قلوبهم بالإيمان والتقوى، وأن يهديهم لما فيه صلاحهم وصلاح أمتهم، إنه سميع مجيب.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

**أما بعد:** فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واشكروه على ما هداكم إليه من الإيمان؛ فإن الشكر والإيمان يمنعان العذاب **﴿‌مَّا ‌یَفۡعَلُ ‌ٱللَّهُ ‌بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ ﴾ [النساء: 147] (10)**

**أيها المسلمون:** من أعظم النعم أن ينشأ العبد على الإيمان الصحيح، ويتعلم في طفولته العقيدة الصحيحة، فلا يتعلق قلبه بغير الله تعالى، وفي عالم مفتوح يموج بشتى الأفكار، ويضطرب بالأهواء، ويكثر فيه إعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فإنه لا بد من إحراز الإيمان، والمحافظة عليه، وتنميته بالأعمال الصالحة، وغرسه في قلوب الأبناء والبنات، بل والأطفال والرُّضع؛ فإن لذلك أثرا عظيما في رسوخ الإيمان وقوته في قلوبهم.

وينبغي لكل مربٍّ أن يعرف أن خطوات التعليم تكون متسلسلة ومرتَّبة حتى يعيها الطفل ويتجاوب معها، فيبدأ في المرحلة الأولى بتعريفه بوجود الله وكيفية الارتباط به وحبه، ثم معرفة وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المرحلة الثانية يتعلم أركان الإيمان الستة، ثم أركان الإسلام في المرحلة الثالثة، وهكذا يتسلسل التعليم وغرس الدين والإيمان حسب مراحل عمر الطفل، مع تعزيز كل المراحل باستمرار وعدم الانقطاع والفصل بين المراحل، ويجب أن يكون المربي قدوة في أقواله وأفعاله حتى يقتدي به الطفل آمنا مطمئنا.

**يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى** عن الأولاد: «فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا».(11)

وهذا بإذن الله يورث مراقبة الله في قلوب الأولاد، ويوقظ لديهم الخوفَ منه فيبتعدوا من ارتكاب الذنوب المعاصي في الخلوة والجلوة بتوفيق الله تعالى.

ومن تنشئة الأولاد على الإيمان: تحفيظهم القرآن، وتلقينهم صحيح الأخبار؛ فإن القرآن والسنة كتابا إيمان؛ ولذا كان تحفيظ الأطفال قصار السور وبعض الأحاديث مما يؤسس الإيمان في قلوبهم.

**يقول المؤرخ ابن خلدون رحمه الله تعالى**: «اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التّعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات. وسبب ذلك أنّ التّعليم في الصّغر أشدّ رسوخا وهو أصل لما بعده؛ لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات». (12)

ومن فوائد تعليم الأولاد القرآن:

1- أنه يساعد على زيادة تعليق قلوبهم بالله، وفهم الدين الإسلامي، والتحلي بالأخلاق والسلوكيات الحميدة.

2- أنه يعين الطفل على المواظبة على الصلاة في أوقاتها وغيرها من الواجبات، ومعرفة الثواب والعقاب.

فلنحرص -عباد الله- على تنشئة أولادنا على الإيمان، وملء قلوبهم به، وتعاهده بالنماء والزيادة، في زمن تلاطمت فيه الفتن، وتوالت المحن، ولا نجاة لهم فيه إلا بالإيمان والعمل الصالح **﴿إِنَّ ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ‌یَهۡدِیهِمۡ ‌رَبُّهُم بِإِیمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِی مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِی جَنَّٰتِ ٱلنَّعِیمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِیهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِیَّتُهُمۡ فِیهَا سَلَٰمࣱۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِینَ ﴾ [يونس: 9-10]  (13)**

اللهم عليك بأعدائنا من اليهود الغاصبين، اللهم انصر المستضعفين في كل مكان الله انصرهم في فلسطين وخفف عنهم.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا، اللهم من أراد بلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره واجعل تدبيره تدميرا يا سميع الدعاء، اللهم كن عونا معينا لخادم الحرمين الشريفين ووفقه وولي عهده لما فيه صلاح البلاد والعباد. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الفهارس:**

1. **سورة النساء (136)**
2. **سورة الأعلى (17)**
3. **سورة التوبة (67)**
4. **سورة الحشر (19)**
5. **أخرجه البخاري من حديث معاذ بن جبل (6856) ومسلم من حديث معاذ بن جبل (30)**
6. **آل عمران (185)**
7. **أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد (4269) ومسلم من حديث أسامة بن زيد (96)**
8. **أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد (96)**
9. **أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد (97)**
10. **سورة النساء (147)**
11. **تحفة المودود لابن القيم (1\232)**
12. **مقدمة ابن خلدون (3\220)**
13. **سورة يونس (9-10)**